

تاريخ القبول: 2022/05/30

تاريخ الإرسال: 2019/12/05

تاريخ النشر: 2022/10/07

مداخل المعنى في علم الدلالة العرفاني

The entries of meaning in the Semantics cognitive

هشام فرّوم¹، محمد رضا بركاني².جامعة الطّارف (الجزائر) hichamferroum@gmail.com¹جامعة الطّارف (الجزائر) berkanirida@gmail.com²

الملخص:

يبحث علم الدلالة العرفاني عن المجال المعرفي والتصورى للعقل البشري في تعامله مع العالم وكيفية تفاعله مع المحيط الخارجي والمدرجات الموجودة فيه، ويركّز أيضا على التمثيلات الذهنية والصّيرورات الإدراكية، من خلال مداخل للمعنى تمثّل دعائمه الأساسية، يبحث عن ماهية العقل والنظام المفهومي وكيفية انتظام هذا النظام وكيفية إعطاء معنى وقيمة دلالية للتجربة البشرية في العالم الطبيعي وفي الفضاء الاجتماعي والثقافي، وربط هذه التجربة باللغة والفكر؛ من منطلق أن بناء المعنى (البنية التصورية) نابع من التجربة الإنسانية، ولا سيما التجربة الجسدية أو الحسية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، العرفانية، الذهن، التصور، المعنى.

Abstract:

Customary semantics looks for the cognitive and conceptual field of the human mind in its dealings with the world and how it interacts with the periphery and perceptions in it. To give meaning and significance to the human experience in

the natural world and in the social and cultural space, and to link this experience with language and thought; What physical or sensory experience.

Keywords: Semantics, Mindfulness, perception, Cognitive, Meaning.

المؤلف المرسل: هشام فرّوم hichamferroum@gmail.com

تقديم:

لا ينكر أحد أنّ الدّراسات والأبحاث اللّغويّة لها قابليّة التطوّر والتغيّر والنموّ، على غرار بقية العلوم الأخرى التي تسير وفق قانون طبيعيّ يتماشى والنّماء الحيّاتي والتفكير لدى بني البشر، واستجابة لهذا المبدأ في مجال اللّسانيّات الحديثة، برز اتجاه معاصر يبحث في أعماق الفكر البشري والمنظومة المفهومية التي شهدت قبل هذا التوجه الجديد قلّقا معرفيا ومنهجيا. عُرِف هذا الاتجاه اللّساني الحديث في اللّسانيّات الغربيّة بـ (علم اللّسانيّات العرفانيّة) الذي انبنى أساسا على التّحليل المفهومي والتصوّري للأنظمة اللّغويّة المستعملة، وطرح أوراها تتأسّس على المنطق العقلي والتصوّر الذّهني والإدراك والفهم، والرّبط بين الوعي والواقع، وهو بذلك يرمي إلى معرفة كيفيّة عمل آليّة التّفكير، وطريقة تبلور العمليّات العقليّة التي تسبق الإنتاج اللّغويّ.

فالمسألة إذن لا تختزل في مجرّد ظهور تيار لساني جديد، يبحث عن مكانة في تاريخ الدّراسات اللّغويّة، بقدر ما هي مسعى حقيقي لفهم الظّاهرة اللّغويّة والكشف عن أسرارها وفك ما أبهم على السابقين منها.¹ وتمثّل اللّسانيّات العرفانيّة الوريث الشرعي لتراث قديم، يعود إلى ما قبل هيمنة السلوكيّة في علم النفس منتصف

القرن العشرين، والتي منها حرر العلم الإدراكي الكلاسيكي (الجيل الأول) علوم العقل. هذا التراث الأقدم الذي تركّز في علم النفس ولكنه أخذ بكثافة في علم الأحياء واللّسانيّات والفلسفة والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع.² وقد قيل أيضا أنّ اللّسانيّات الإدراكية (العرفانية) ذات ماضٍ طويل وتاريخ قصير. يتداخل ماضيها الطويل بشكل ملحوظ مع ماضي الفلسفة، وعلم النفس، والإدراكيات.

أولاً- اللّسانيّات العرفانية:

1- النشأة: ترتبط اللّسانيّات العرفانية، من وجهة نظر تاريخية، بمجموعة من الأعمال التي ظهرت على الخصوص ابتداء من منتصف السبعينات على يد أمثال روش (1977) Rosch ولايكوف (1982) Lakoff وليكوف وجونسون (1980) ولنقيكر (1987) Langacker وتالمي (2000) Talmy وفوكونييه (1984) Fauconnier وراي جاكندوف Ray Jack-enoff وآخرين.³ وكلّها أعمال تلتقي، - رغم اختلافها- في مجموعة من الأسس والمبادئ النظرية والمنهجية التي تعد الظاهرة اللّغوية ظاهرة نفسية ذهنية لا يمكن فهمها إلّا في علاقتها بباقي الظواهر الذهنية الأخرى المرتبطة بطبيعة المقولة البشرية وبمختلف الاستراتيجيات الإدراكية والمعرفية التي تحدّد صلة الإنسان بعالمه.

ولعلّ البداية الفعلية بشكل دقيق تعود إلى سنة 1975 وهي السنة التي استخدم فيها لايكوف مصطلح (اللّسانيّات العرفانية) للمرة الأولى، ثمّ تلتها مرحلة مهمة جداً في التأسيس المعرفي لهذا التخصص تمثّلت في تعاونه مع الفيلسوف (مارك جونسون) Mark Johnson سنة 1979، وكان نتاج هذا التعاون ظهور كتاب (الاستعارات التي نحيا بها) سنة 1980.

ثمّ تلتها نشاطات كثيرة ساهمت في بلورة هذا التخصص وإخراجه للعالم في صورة واضحة تمثّلت في كتابات (لايكوف) و(لنقيكر) و(تالمي)، وهذا ما ساهم في بعث

جمعية اللسانيّات العرفانيّة العالميّة سنة 1989 ثمّ مجلّتها سنة 1990، وذلك بعد عقد تقريرا من بعث مجلة العلوم العرفانية (1977) وتأسيس جمعية العلوم العرفانية بأمريكا (1979).⁴

2- الماهيّة:

اللّسانيّات العرفانية جزء من مجموعة المباحث اللّسانية المسماة المباحث الإدراكيّة أو العرفانية والتي تشتمل على مجموعة الجهود البحثية التي تعد اللغة ملكة ذهنية وإدراكية. يقول بول كوبلي: (كلمة المعرفي - تعني أن لها علاقة بالتفكير - لذلك يمكن أن يُفهم علم اللغة المعرفي بمعناه الواسع على أنّه دراسة اللّغة في علاقتها مع الفكر)⁵. وهي تيار لساني حديث النشأة، يقوم على دراسة العلاقة بين اللّغة البشريّة والدّهن والتجربة بما فيها الاجتماعيّ والمادّي البيئي؛ أي: العلاقة بين اللّغة والدّهن والتجربة (الاجتماعيّة والماديّة والبيئيّة). فإذا كانت النّظريّة التوليدية تقوم على أساس النّحو الكوني؛ الذي ترى أنّه مركز في عضو ذهني من الدّماغ مخصوص هو اللّغة، وخلاف لهذا الرّأي يذهب التّيار العرفانيّ إلى تجذر تلك المبادئ الكونيّة في الملكة العرفانيّة، فينتفي بذلك وجود عضو ذهني مخصوص باللّغة. فاللّغة مثل سائر الأنشطة الرمزية، إنّما هي وليدة نشاط عرفاني مركز في المولدة العرفانية العامة؛ التي تمثّل نشاط الدّماغ باعتباره عضوا ماديا.⁶

إنّ اللّسانيّات العرفانيّة ليست نظريّة منغلقة على نفسها، بل هي نظريّة مفتوحة تكسب قوتها وتماسكها من انفتاحها على علوم كثيرة أهمها علم النّفس؛ حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسيّة التي تهتم بعمل الدّماغ ومتابعة العمليّات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانيّة والإدراك بشكل عام. ولا يقبل أصحاب هذا الاتجاه في دراسة اللّغة، -على اختلاف منطلقاتهم- القول باستقلالية النّظام اللّغوي، فهم يرون أنّ لا انفصال بين المعرفة اللّغوية والتفكير بشكل عام.⁷ وعليه

غدا واضحا أنّ اللسانيات العرفانية تهتم بالآليات التي يعمل بها (الدماغ/الذهن البشري) لتوليد المعرفة واللغة، في سياقات تكاملية مستفيدة من كلّ العلوم وثيقة الصلة بهذه الغاية كعلم الأعصاب والتشريح والرياضيات والحاسوب واللسانيات.

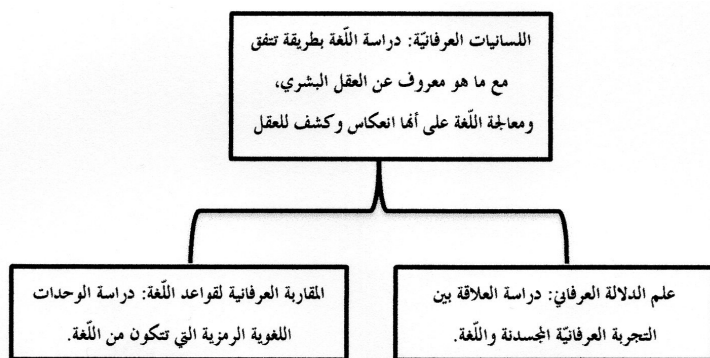
والمعرفة اللغوية في هذا التيار "جزء من الإدراك العقلي الذي لا يميز بين المعلومات اللغوية والمعلومات غير اللغوية، والذي يتأثر، وبقوة، بمحيط الإنسان وتجاربهِ اليومية المختلفة؛ فالعمليات العقلية التي تتحكم في التفكير الإنساني وفي تكوين المعرفة بشكل عام هي نفسها التي تتحكم في المعرفة اللغوية وفي تشكيل البنية اللغوية العامة بمستوياتها المختلفة، فهناك مستوى واحد تعالج فيه المعلومات اللغوية والمعلومات الأخرى الحركية والبصرية والسمعية غير اللغوية للوصول إلى مجموعة من العلميات التي لا ينبغي التمييز داخلها بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي)⁸. وجميع هذه العلميات الدّهنية تتم على مستوى البنية التصورية، والتي هي (ليست جزءا من اللغة في حد ذاتها، إنّما هي جزء من الفكر؛ إنّها المحلّ الذي يتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها، بما في ذلك الاعتبارات الذريعية والمعرفة الموسوعية؛ إنّها البنية المعرفية التي يبنى عليها التفكير والتخطيط)⁹.

كما أنّ (مبادئ البنية التصورية تتسحب على معرفتنا بكلّ أنواع الدلائل واستعمالها، فهي تتعلّق بتجاربنا الفكرية والجمالية والحسية مع اللون والحجم والهيئة والصوت؛ ... إنّها تهتمّ مختلف أنساقنا المعرفية والإدراكية)¹⁰.

وعليه تمتلك اللسانيات العرفانية بهذا الطرح الجديد المتجدد إمكانية كبرى لإرساء نظرية في اللغة تتجاوز الإدراك، وكذلك نظرية في الإدراك تتجاوز اللغة. وهذا يدعونا لذكر وجهين هاميين تميّز بهما اللسانيات العرفانية عن الاتجاهات الأخرى في حقل اللسانيات، سواء أصحاب النزعة الصورية أو النزعة الوظيفية:

أولاً: أنها تأخذ بصفة جدية الدعامة العرفانية للغة، وهو ما يسمّى بالالتزام العرفاني. فاللسانيون العرفانيون يحاولون وصف اللغة ونمذجتها في ضوء براهين متجمعة من علوم الذهن والعلوم العرفانية الأخرى.

ثانياً: يلتزم اللسانيون العرفانيون بالتعميم؛ أي التزام وصف المبادئ التي تشكل المعارف اللغوية وطبيعتها بوصفها محصلة لمقدرات معرفية عامة. وسنحاول توسيع النظر في مضمون الالتزامين في عنصر علم الدلالة العرفاني.



دراسة المعنى والنحو في اللسانيات العرفانية¹¹

3- الفرضيات والأسس:

أ- الفرضيات: تقدّم اللسانيات العرفانية ثلاث فرضيات يسترشد بها الإطار اللساني في التعامل مع اللغة؛ وهي:¹²

- اللغة ليست قدرة إدراكية منفصلة أو مستقلة عن بقية القدرات الأخرى.
- النحو هو عملية خلق للمفاهيم؛ مما يعني أنّ اللغة رمزية بتطبيقها؛ أي أنّ القواعد اللغوية تمثل نوعاً من التجريد يبني مفاهيم وتصورات.
- المعرفة باللغة تأتي من الاستعمال اللغوي.

وعليه يمكن القول إنّ اللسانيات العرفانية تركز على التمثيلات الذهنية والسيرورات العرفانية في الدماغ، وإثبات بدأت مؤخرًا في النظر إلى الخطاب، والفرضية الثالثة

توفّر فرصا كثيرة للسانيات عموما في معالجة الطبيعة الاجتماعية التفاعلية للغة من المنظور التداولي العرفاني الذهني؛ وذلك لأنّ الاستعمال هو تفاعل اجتماعي، والمتكلمين يستعملون خبراتهم من أجل توصيل تلك الخبرات إلى الآخرين.

ب- الأسس: تقوم اللسانيات العرفانية على أسس نظرية تحدّد طبيعة التصوّر النظري في نهجها المعرفي؛ (بوصفها مبحثا دراسيا قائم الذات)،¹³ تتكوّن من أسس لا تخرج جميعها عن فكرة أنّ اللغة معنى بالدرجة الأولى. وتتجلى هذه الأسس في الأطروحات الآتي ذكرها:

1- المعنى ديناميكي ومرن؛ لذا لا حاجز بين الدلالة والتداولية، فيجب أن ننظر إلى المعنى بوصفه متأصلا في التجربة؛ ممّا يعني أنّ المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى، ويعدّ هذا الأمر تغيرا جوهريا في المجرى العام للدرس اللساني الذي ساد القرن العشرين؛ إذ كان ثمة اتجاه عام لغرض التمييز التركيبي للغة ومستوى الاستعمال؛ وهو التمييز الذي مثلته ثنائية دوسوسير (اللغة والخطاب).

2- تنطلق اللسانيات العرفانية من مسلمة ذهنية مفادها أنّ اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمزة في الذهن البشري، أو هي تمثيل ذهني، وبذلك فهي تحيل على عالم مسقط ناتج عن هذه البنية ووليد التنظيم الذهني المذكور.¹⁴ معنى ذلك أنّ الهدف من هذه النظرية هو توضيح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم ببعضهما في الذهن البشري، لتبيان الصورة التي يتعالق به التمثيل الذهني للجمل والتمثيل الذهني للعالم.

3- القدرة التأليفية التوليدية التي تنفرد بها اللغة الطبيعية؛ أي قدرة المتكلم على خلق عدد لا محدود من الأقوال وفهما انطلاقا من التأليف، واعتمادا على مبادئ معينة منها التآلف بين عناصر محدودة.

ثانيا: علم الدلالة العرفاني: بحكم أنّ المكوّن الدلالي كان ذا حضور باهت في المقاربات اللسانية السابقة للعرفانية، لكن بعد تغير المقاربة حظيت الدلالة بحضور

لافت في الفكر اللساني العرفاني، بهدف تحسين كفاءة النظرية اللغوية في فهم اشتغال اللغة، ومن هذا المنطلق اتسع فضاء الدلالة عند العرفانيين.

يقول محمد صلاح الدين الشريف معلقاً: (إنَّ الشَّرحَ الَّذِي أحدثه التوليديون الدالّيون بانفصالهم عن النظرية المعيارية ازداد اتساعاً بظهور نظريات عرفانية أخرى لا تقوم على مفهوم مركزيّة التركيب الإعرابي في الربط بين اللفظ والمعنى، بل تقوم على اعتبار الدلالة أو التصورات والعمليات الذهنية أساس الأبنية اللفظية سواء أكانت صوتية أو صرفية معجمية أم كانت إعرابية أو تداولية)¹⁵.

بهذا الطرح يكون المعنى بوصفه الجانب المتحقق من الدلالة تجاوز عند العرفانيين المعنى المعجمي والمعنى المتقوم بالسمات الدلالية المجردة باستقراء الاستعمال، ليصبح عملية فكرية تتشكل بمقتضاها صورة من الصور الذهنية.

1- الماهية: يعد علم الدلالة العرفاني من أحدث المباحث اللسانية وأهمها في اللسانيات العرفانية. يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات العرفانية المساعدة في عملية تحليل الكلام، وفهم فحواه. ويعدّ كلّ من اللسانيين لايفوف وتايلر ولانتيكر من رواده الأوائل؛ لأنهم أصدروا في أوائل سبعينات القرن التاسع عشر كتابات ومقالات حملت توجّهات عرفانية أولية مهدت السبيل لبزوغ هذا المنهج الدلالي.¹⁶

ويشكل علم الدلالة العرفاني مستوى من مستويات اللسانيات العرفانية؛ يهتم بالجوانب العقلية، والعمليات الذهنية، والقدرات الإدراكية، المساعدة في عملية تحليل الكلام، وفهم فحواه، من منطلق أنّ (اللسانيات العرفانية لها علاقة باللسانيات النفسية واللسانيات الذهنية والمهارات العرفانية وفلسفة الذهن والذكاء الاصطناعي وعلم النفس العرفاني، ولها تحقق في ظواهر عرفانية وذهنية كثيرة)¹⁷.

وقد أكد علم الدلالة العرفاني أنّ (المعرفة اللّغويّة جزءٌ من الإدراك العام)؛ وعليه لا يجوز الفصل بين المستويات اللّغويّة، وأنّ التحليل اللّغويّ يجب أن يتخطى الحدود الفارقة المرسومة بين هذه المستويات؛ لذا فإنّ الاختلاف القائم بين اللّغة كونها نتاجاً عقليّاً، وبين الأفعال العقليّة الأخرى، اختلاف في الدرجة وليس في النوع، مما يستدعي انصهار القدرة اللّغوية في القدرات العقلية الأخرى.

وهذا ما أكد عليه جلّ المهتمين بهذا التوجه اللساني؛ في أنّ الفصل بين المستويات اللّغويّة قد يكون وسيلة نافعة للوصف العمليّ؛ إلّا أنّه يضرّ بالمفهوم العام للّغة. فعلى سبيل المثال، لا يمكن أن يستقلّ النّحو عن الدّلالة أو التداوليّة، ولا يمكن تفسير النّماذج النّحويّة باستعمال النّماذج النّحويّة المجردة، وإنّما من خلال مقصدية المتكلّم ومراده من ذلك الكلام في سياق معيّن، وبهذا تهدف الدلالة الإدراكية إلى أن تعيد الدّلالة إلى خضم النّحو؛ ليكون النّحو نحواً دلاليّاً لا شكليّاً معيارياً، لرؤيتهم القائمة على أنّ العقل هو أساس اللّغة، ويستحيل ضبط اللّغة بالقواعد المجردة، بل بالمواقف والاستعمالات المختلفة التي تحدد الدلالة المرادة، والتي تتنوع بتنوع هذه المواقف والاستعمالات. وهذا ما دفعهم إلى ربط الدّلالة بالتداوليّة وبالنّحو؛ أي المزج بين جميع المستويات اللّغويّة.¹⁸

وقد برهن اللسانيان (لايكوف) و(جونسون) على أنّ الاستعارات والمجازات والفنون البلاغية برمتها حاضرة في مناحي التفكير الذهني، وفي كل مجالات الحياة اليومية، وغير مقتصرة على اللغة الأدبية، والزخارف البلاغية، والخيال الشعري.¹⁹ بمعنى أنّها انتقلت من النظر إليها على أنها ظاهرة لغوية تتجسد في كونها محض اختيار أسلوبيّ، إلى النظر إليها على أنها ظاهرة عرفانية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء أنساقه التصورية، وتشفير بناء ونماذجه المعرفية.²⁰

وتتجسد أهم الأهداف التي تتوخى نظرية الدلالة العرفانية (الدلالة التصورية) تحقيقها هو إعادة إدماج النحو التوليدي، بما في ذلك نظرية الدلالة في العلوم العصبية والمعرفية بكيفية تجعله يتلاءم بصورة طبيعية مع الهندسة الواسعة للذهن/ الدماغ، وذلك وفاء بوعده قطعه اللسانيات التوليدية على نفسها منذ كتاب تشومسكي (مظاهر النظرية التركيبية) سنة 1965 الذي جاء فيه: لنلاحظ أننا لا نقصد طبعاً أن وظائف اكتساب اللغة تتجزأ مكونات منفصلة تماماً في ذهن المجرد أو الدماغ الفيزيائي،.. وبالفعل فمن مشاكل علم النفس الهامة أن نحدد إلى أي حد تقتسم مظاهر أخرى للمعرفة خصائص اكتساب اللغة واستعمالها، وأن نحاول في هذا الاتجاه تطوير نظرية للذهن أغنى وأوسع.

معنى هذا أن القيمة المركزية للدلالة عند العرفانيين تكمن في (النظر للنحو لا باعتباره مجموعة من الآليات التي تسمح بإنتاج تراكيب سليمة، وإنما على أنه قائمة من الأبنية الاصطلاحية التي تسمح بتصنيف المعاني والدلالات؛ وبذلك يصبح النحو مجرد دراسة للعلاقات التي تربط بين متتاليات ودلالات)²¹. وهكذا يفقد التركيب منزلة المكون التوليدي المركزي في الجهاز الواصف للغة، بحكم أن اللغة (عند العرفانيين وعند رونالد لانفيكر بصفة خاصة، مسترسل من الأبنية الرمزية، وكلّ الوحدات اللغوية، ما كان منها معجمياً أو صرفياً أو تركيبياً، وحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وقطب فونولوجي، ولا يمكن الفصل بين مختلف مستوياتها)²². وبهذا التوجه أصبحت التركيبية عبارة عن الاشتغال بظواهر لا تتفصل عن بقية الظواهر اللغوية الأخرى؛ لأنها تسهم مجتمعة في بناء المعنى وتشكله.

2- النظريات: فيما يلي تسليط الضوء على بعض النظريات الدلالية التي تستند إليها الدلالة العرفانية في تفسير الآليات العرفانية أو العقلية لإنشاء المعنى.

أ- **نظرية المخطط الصوري:** تُنسب هذه النظرية إلى اللساني هامب Hampe وترتكز أهم مبادئها على اعتبار الصور البلاغية مجازية، معتمدة على صور يرسمها العقل البشري حسب الوسائل المادية المحسوسة لاستيعابها، فعلى سبيل المثال، تصوّر الكرم في أرقى تظاهراته وأبلغها يكون تشبيه صاحبه بالبحر أو شخصية معروفة بالكرم اللامتناهي، مثل (حاتم الطائي)، وفي ضوء هذا المنهج يكون هناك (الحقل أو المجال/ الهدف) الذي يتمثل في النماذج العقلية المجردة، و(الحقل أو المجال/ المصدر) الذي يتجسد في الفضاء الواقعي الملموس الأساس، حيث يُربط بينهما في نطاق الصور الاستعارية لإدراك المصدر وصولاً إلى الهدف الإدراكي العقلي.²³ هذا التداخل بين الحقلين يهدف إلى مضاعفة المعنى، ومن ثم تكون الاستجابة؛ إنتاج نص آخر من خلال مقارنة ملموسية الحقل المصدر وتجريدية الحقل الهدف.

ب- **نظرية الأحياز العقلية:** تُعزى للغوي فوكنر Fokner، وتتلخص في أنّ صناعة معنى معين يكون بالانتقال من العالم الواقعي إلى عالم الذهن. وتجليات هذا النمط في اللغة كثيرة، من أبرزها أسلوبيّ الشرط والتّمني؛ فحينما يُقال: (لو سعيّت بلغت مُناك)، يكون بلوغ المعنى أمراً ذهنياً غائباً عن الواقع الحالي.²⁴ لذلك فإنّ أغلب الأساليب البلاغية ولا سيما (فنون البيان) ما هي إلاّ استراتيجيات وآليات وميكانيزمات ذهنية، بها يُدرك الإنسان معنى الأشياء من حوله.

ج- **نظرية الأطر الذهنية:** صاحبها فيلمور Fillmore، ويقصد بها أنّ المفهوم الواحد يحتوي على مجموعة أطر؛ لعملية إنشاء المعنى قائمة على تأطير المفاهيم المشتركة، والإنسان يدرك مفهوماً واحداً لمفاهيم مقترنة به، وهذا ما سمّاه القدماء بدلالة التضمّن.²⁵

د- نظرية المجاز المعاصر: وهي نظرية منبثقة من توجه لاكوف Lakoff، المعرفي من خلال كتابه (المجاز الذي نحيا به The Metaphor Live by). يؤكد هذا الكتاب أن اللغة كلها مجاز واسع؛ حيث أدرك لاكوف أن الصور البلاغية كالاستعارة والكناية، ليست فقط مجرد تنميقات لغوية، أو الأسوأ من ذلك، انزياحات، بل هي جزء من الكلام اليومي الذي يؤثر على طرائق الإدراك والتفكير.²⁶ كما أن أغلب المفاهيم الفلسفية مبنية -في تصور لاكوف- استعاريا.²⁷ والاستعارة ليست خاصة باللغة وإنما بالفكر، وأنها ليست زخرفا كما تذهب إلى ذلك التناولات البلاغية التقليدية.²⁸ وبهذا لا ينحصر المجاز في كونه أسلوبا جماليا أدبيا بليغا، فهو أوسع من ذلك؛ هو عملية ذهنية إدراكية بحثة، ذلك أن منظومتنا الذهنية الأساسية هي في الأساس ذات طبيعة استعارية.

لهذا عُدَّت اللسانيات العرفانية الاستعارة سمة مركزية في اللغة الطبيعية، وهي أداة أساسية في إنتاج المعاني وتوسيعها كما جاء في قول جون لاينز J.Loyns: (إن القدرة على توسيع معنى الوحدات المعجمية عن طريق عملية تحويل استعارية، تعدّ جزءا لا يتجزأ من الكفاءة اللغوية لدى المتكلمين)²⁹. وهذا ما نصّ عليه تشومسكي وجعله مُطلقا ديناميكيا لنظريته التوليدية التحويلية، التي أعادت الاعتبار للمتكلم المستمع المثالي؛ حيث تشيد هذه النظرية بعنصر الكفاءة اللغوية، وعالمي الخلق والإبداع اللذين يُنتجهما كل متكلم عاقل وواع.

ثالثا: مداخل المعنى في اللسانيات العرفانية: تعدّ الدلالة العرفانية من النظريات التي انبثقت ضمن ما بات يُعرف باللسانيات العرفانية المنبثقة بدورها ضمن الإطار العام للعلوم العرفانية؛ التي يختصّص المعنى وفق منظورها، باعتباره تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو البنية التصورية، التي لا تمثل جزءا من اللغة في حدّ ذاتها، وإنما هي جزء من الفكر. إنها المحلّ الذي يتمّ فيه فهم الأقوال اللغوية في

سياقاتها، بما في ذلك الاعتبارات الذّريّة، والمعرفة الموسوعيّة؛ إنّها البنية المعرفيّة التي يبنّي عليها التّفكير والتّخطيط، وعليه يعدّ هذا المستوى المفترض للبنية التّصوريّة المقابل النّظري لما يسمّى الحسّ المشترك (المعنى).³⁰

وعلى عكس المقاربات اللّسانيّة الشّكليّة التي غالباً ما تؤكّد دور النّحو، تؤكّد اللّسانيّات العرفانيّة على دور المعنى. ووفقاً لوجهة النّظر العرفانيّة، فإنّه يجب أن يتمّ تحديد نموذج للمعنى (الدّلالات العرفانيّة) قبل أن يتمّ تطوير نموذج عرفانيّ كافٍ من قواعد اللّغة، ومن ثمّ فإنّ القواعد العرفانيّة تفترض الدّلالات العرفانيّة وتعتمد عليها. ذلك لأنّ القواعد التي يتمّ النّظر إليها ضمن الإطار الإدراكي نظام هادف في حدّ ذاته؛ وعليه فهي تشترك في خصائص مهمّة مع نظام المعنى اللّغوي، ولا يمكن فصلها بشكل هادف عنه.

وفي سياق آخر يعرف إيفنس الدّالة العرفانيّة بكونها فعلاً يهتم بالبحث في العلاقة بين التجربة؛ والنسق التّصوري، والبنية الدّلالية التي تشقّها اللّغة.³¹ لهذا يعمل الدّراسون في الدّالة العرفانية على وجه الخصوص بالبحث في طريقة تمثيل المعارف (البنية التّصوريّة) وبناء المعنى (بناء التّصوّر)، والتي يمكن تمثيلها في عدد من الافتراضات أو المداخل، التي سيأتي ذكرها وتحليل مضامينها بعد تناول التزامين هاميين يمثلان الرافد الأساسيّ لهذه الافتراضات أو المداخل؛ هما: الالتزام بالتعميم Generalisation Commitment والالتزام العرفاني Commitment. The cognitive

هذان الالتزامان جاء ذكرهما في بحث مهم لجورج لاكوف وهو أحد الشخصيّات الرائدة في اللّسانيّات العرفانيّة؛ حيث أنّ مشروع هذا التخصّص الجديد تميّز بهاذين الالتزامين، وقد عرّفهما على النّحو الآتي:

1. الالتزام بالتعميم: هو الالتزام بتوصيف المبادئ العامة المسؤولة عن جميع جوانب اللغة البشرية.

2. الالتزام العرفاني: هو الالتزام بتوفير توصيف للمبادئ العامة للغة التي تتفق مع ما هو معروف عن العقل والدماغ مع التخصصات الأخرى، ولا سيما العلوم العرفانية مثل الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب.³²

وفيما يلي الحديث عن مقارنة المعنى في علم الدلالة العرفاني من خلال عدد من المداخل:³³

1- موسوعية تمثيل المعنى: القصد بأن البنية الدلالية موسوعية بطبيعتها، وفق هذه النظرة يُثبت علماء الدلالة العرفانية أن المعنى الوصفي المقترن بكلمة مفردة يعدّ حادثاً فقط لعملية بناء المعنى؛ أي اختيار الترجمة المناسبة تبعاً لسياق الملفوظ. فكلمة (آمن) مثلاً، لها طبقة من المعاني، والمعنى الذي تختاره ينبثق كنتيجة للسياق أين تبرز الكلمة. لتوضيح هذه النقطة، ننظر في المثال الآتي في سياق (لعب طفل على الشاطئ):

أ. الولد آمن.

ب. الشاطئ آمن.

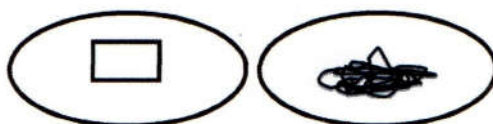
ج. المجرفة آمنة.

في هذا السياق، تأويل الجملة (أ) هو أن الولد لن يصيبه أي أذى. ومع ذلك، لا تعني الجملة (ب) أن الشاطئ لن يكون مؤذياً. بدلاً من ذلك، تعني أن الشاطئ المحيط بالولد يكون خطره الذي يلحق بالولد في حدّه الأدنى. وبالمثل، لا تعني (ج) أن المجرفة لن تكون مؤذية، ولكن المعنى أنها لا تسبب أذى لهذا الولد (وقد تكون نفس المجرفة مؤذية في سياق آخر كأذية الشاطئ). هذه الأمثلة توضح أن ما نقوم به هو ترجمة المعنى باختيار المعنى الذي يناسب سياق التلقظ.³⁴

لذا فصناعة المعنى تستدعي معرفة موسوعية، غير مقتصرة على المعرفة اللغوية فقط، كون أن المعرفة المجردة بالقوانين اللغوية ليست كافية لصناعة المعنى؛ لأن التصميم العام للغة لا يكمن في جهاز معين للقدرة على اكتساب اللغة، بل إن المبادئ العامة متجذرة في العملية الإدراكية، وهذا ما دعا إليه الجرجاني بقوله: (إن النظم يجب أن يكون بمقتضى باقي العقل)³⁵.

وقد جسّد هذا التصور لانفيكر في المخطط الآتي:³⁶

الدلالة الموسوعية الدلالة القاموسية



وعليه فإنّ عملية خلق المعنى وصناعته تستوجب حضور كلّ مكونات العقل، فالدلالة العرفانية هي نموذج للعقل أكثر ممّا هي نموذج للمعنى اللغوي.

2- البنية الدلالية هي بنية تصورية: ذلك أن الدلالة تؤسّس لكلّ ممارستنا العرفانية والإدراكية، وتحكم نشاطنا الذهني واللغوي. يؤكّد هذا المبدأ أن اللغة تُحيل إلى تصوّرات في ذهن المتكلّم بدلا من الإحالة إلى الأشياء الموجودة في العالم الخارجي. بعبارة أخرى، البنية الدلالية (المعاني المقترنة وضعيا بكلمات ووحدات لغوية أخرى) يمكن أن تتكافئ مع التّصوّرات؛ أيّ الصّورة الوضعية التي تتطلبها البنية التّصورية من أجل أن تكون مشقّرة في اللغة، وهذا لا يعني أن كلّ الأفكار والتّصوّرات والأحاسيس هي قابلة للتّشفير وضعيا في اللغة.³⁷

3- المجاز عملية ذهنية: المجاز عند العرفانيين هو جوهر المعنى والتّفكير الإنسانيين، وهو الذي يبنين جزءا كبيرا من نظامنا التّصوري.³⁸ لذلك فإنّ أغلب الأساليب البلاغية ما هي إلا استراتيجيات وميكانيزمات ذهنية، يُدرك بها الإنسان

(متكلم/ مستمع) معنى الأشياء من حوله؛ إذ أنّ العقل البشري قاصر عن المدركات الحسية، لذا يلجأ إلى المجاز والتّخيل لتقريب المفاهيم المجردة من المدركات الحسية، وبهذا لا ينحصر المجاز في كونه أسلوباً جمالياً رفيعاً، فهو أوسع من ذلك؛ أي هو عملية ذهنية إدراكية بحثة.

ويتجسّد هذا التّصوّر الذهنيّ للمجاز حين تبدأ بإدراك المعطيات المألوفة والعادية، وتمثّلها تمثيلاً ذاتياً وفنياً، ثمّ تنتهي بإعادة إنتاجها وتشكيلها في متكوّن ذهنيّ ذي معطيات وعلاقات متغيرة في حضورها وجوهرها، انتهاء بتلمّس المتخيّل الماديّ الجديد. وعند إدراك فحوى هذه العملية لا يستطيع متتبّعها إقصاء دور العقل الفاعل في بلورة قصديّة مرهونة بالخيال؛³⁹ أي أنّ اعتماد العقل ركيزة مهمّة في إدراك عملية التّخيل. والذي من خلالها نحاول فهم العالم من حولنا وإدراكه بطريقة تسمح بالتواصل والتّخاطب بيننا، وهذا فيه تأكيد على أنّ منظومتنا الذهنية الأساسية هي منظومة ذات طبيعة استعارية.

4- المعنى والتّجربة الجسديّة (المعنى المتجسّد): يسعى أصحاب الدّالة العرفانيّة إلى اكتشاف طبيعة التّفاعل البشريّ مع العالم الخارجيّ والوعي به، وبناء نظريّة للبنية التّصوريّة تتسجم مع الطّرق والآليات التي نجرب أو نخبر من خلالها العالم. أي أنّ طبيعة التّنظيم التّصوريّ ينشأ من التّجربة الجسديّة، التي تجعل للبنية التّصوريّة مدلولاً.

وبما أنّه لا وجود للمعنى والخيال بعيداً عن عالمنا المتجسّد والمتحقّق، فنحن ندرك العالم، ونفهم الأشياء من حولنا انطلاقاً من حضورنا الجسدي في الزّمان والمكان؛ فمكان الإدراك، ومسافة الإدراك، وطريقة الإدراك، وزاوية الإدراك، هي التي تحدّد طبيعة فهمنا للشّيء المُدرك.⁴⁰ من منطلق أنّ الإدراك عملية عقلية تُنتج في الوعي الدّاتي بتبنيّه أحد أعضاء الحسّ عندما يحدث مثير ما، وهو الذي يزوّد

الذاكرة والتفكير والتصور والاستدلال بالمعطيات الخام.⁴¹ أي محاولة التوصل إلى المعاني من خلال الانطباعات التي تأتي بها الحواس عن الأشياء الخارجية إلى تمثيلات عقلية مهيمنة وهي عملية لا شعورية. يعني هذا أن علم الدلالة الإدراكي يبحث العلاقة بين اللغة والعقل وتجربة الإنسان في العالم الطبيعي وفي الفضاء الاجتماعي والثقافي.

إن بناء المعنى نابع عن التجربة الإنسانية، ولاسيما التجربة الجسدية أو الحسية، باعتبارها الجزء المتحقق الملامس لواقع الناس وحقيقتهم.

خاتمة:

إن التطورات الحاصلة في المجال اللساني الحديث، والذي تبنته النظرية العرفانية، قد أفضى إلى الكشف عن خبايا الدماغ البشري وأسراره وقدراته على تحليل هذا العالم الفيزيائي، وفهمه إلى أبعد الحدود؛ حيث تطورت المقاربات تواليا من مقارنة المتكلم/ المستمع، إلى مقارنة الذهن. وفي ضوء هذه الرؤية العرفانية يمكن إجراء قراءات تأويلية مستحدثة للتصوص اللغوية بتحليلها وفق معطيات ومبادئ علم الدلالة العرفاني، التي تقرب التصورات والمفاهيم المتعلقة بها إلى العالم الواقعي أكثر، وتعيدها إلى دائرة التجارب الإنسانية وتراكماتها المعرفية.

الهوامش:

¹ - منانة حمزة الصفاقسي، الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، العدد 02، سبتمبر 2015، ص96.

² - حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، أنساق، المجلد 1، العدد 1، مايو 2017.

³ - عبد السلام محكي، من اللسانيات التوليدية إلى اللسانيات العرفانية، تحولات المباحث والمفاهيم، مجلة اللسانيات، المجلد 24، العدد 1، ص124، 129.

- ⁴ - الأزهري الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف، تونس، الجزائر، ص30.
- ⁵ - بول كويلي، دليل راوكليدج لعلم السيمياء واللغويات، ترجمة: هبة شندب، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، أغسطس 2016، ص314، 315.
- ⁶ - الأزهري الزناد، النص والخطاب، مباحث لسانية عرفنية، دار محمد علي للنشر، ط1، 2011، تونس، ص22.
- ⁷ - إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة الملك سعود، مج17، كلية الآداب، المملكة العربية السعودية، 2004، ص02.
- ⁸ - المرجع نفسه، ص5.
- ⁹ - إبراهيم أبو هشيش وآخرون، آفاق اللسانيات: دراسات، مراجعات، شهادات - تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، إشراف وتحرير: هيثم سرحان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، مارس 2011، ص57، 58.
- ¹⁰ - محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص92.
- ¹¹ - عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، العدد 10، جانفي 2012، ص24.
- ¹² - عبد الكريم جبدو، اللسانيات العرفانية ومشكلات تعلم اللغات واكتسابها، العلامة، العدد 5، ديسمبر 2017، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية في الجزائر، ورقلة، ص306.
- ¹³ - جورج لاكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ترجمة: عبد الحميد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، مارس 2016، ص30.
- ¹⁴ - غسان إبراهيم الشمري، عن أسس اللسانيات المعرفية ومبادئها العامة، البحث المقدم للمؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، مايو 2014، ص01.
- ¹⁵ - بن غريبة عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني: نظرية رونالد لانكاكر، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2010، ص09.

- 16- دزه بي، دلخوش جار الله حسين، علم الدلالة الإدراكي: المبادئ والتطبيقات، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، المجلد 2014، العدد 110، ج2، 31 ديسمبر/ كانون الأول 2014، العراق، ص56.
- 17- عبد الرحمان بودرع، اللسانيات الإدراكية، منتدى اللسانيات، مجالس ومقاهي الفصحى، نقلا عن: دلخوش جار الله حسين، علم الدلالة الإدراكي، مرجع سابق، ص54.
- 18- دلخوش جار الله حسين، علم الدلالة الإدراكي، ص57.
- 19- جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد الحميد جحفة، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص 21.
- 20- محي الدين محسب، منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي، موقع الإيوان، ص1. نقلا عن: دلخوش جار الله، علم الدلالة الإدراكي، ص54.
- 21- بن غربية عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، ص18.
- 22- م ن، ص ن.
- 23- دلخوش جار الله حسين، علم الدلالة الإدراكي، ص61.
- 24- م ن، ص 62.
- 25- م ن، ص ن.
- 26- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات الإدراكية، وتاريخ اللسانيات، ص273.
- 27- جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد، ص08.
- 28- م ن، ص11.
- 29- محي الدين محسب، الإدراكيات؛ ابستمولوجية وجهات تطبيقية، ص155.
- 30- (محمد غاليم، بعض مهام اللسانيات في السياق المعرفي، مقال منشور على الانترنت: <http://www.aljabriabed.net/n96-05ganem.htm>)
- 31 -vyvyan evans, A Glossaray of Cognitive Linguistics, Ibid, pp26-27.
- 32- دفيان إيفانز، ميلاني جرين، ترجمة: عبده العزيزي، فصول، مجلد25/4، عدد100، صيف 2017، ص56.
- 33 -Vyvyan Evans and Melanie Green, Cognitive linguistics, an introduction, pp157-162.

- ³⁴ - دلخوش جار الله حسين، علم الدلالة الإدراكي، ص 57.
- ³⁵ - الجرجاني، دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، دار المدني، جدة، ط1، 1992، ص 49، 50.
- ³⁶ - عمر بن دحمان، دراسة المعنى من منظور دلالي معرفي، مجلة الخطاب، رقم 10، جانفي 2012، ص 47.
- ³⁷ - م ن، ص 46.
- ³⁸ - محمد الصالح البوعمراني، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ط1، 2009، ص 08.
- ³⁹ - أنساق، مجلة علمية دولية محكمة، مج2، ع1، قطر، فبراير 2018، كلية الآداب والعلوم، ص 17.
- ⁴⁰ - عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2014، ص 55.
- ⁴¹ - محمد بن عبد الله النذير، نموذج تمتين طبقات الإدراك المعرفي لتحسين قوة التعلم؛ معنى جديدا في الفلسفة، التعليم والتعلم، المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، المجلد 1، العدد 1، 2018، ص 242.